

جامعة عبد الرحمن ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص محاضرات مقياس علم النفس الأدبي

مستوى السنة الثانية ماستر تخصص أدب مج 2

### تمهيد:

تمتد جذور علاقة الأدب بعلم النفس في التراث الإنساني، وخاصة تلك العلاقة التي تربط الأدب بكتابه، وهذا التراث واسع لا يمكن حصره في محاضرة أو اثنين، كون قائمة المهتمين بهذا الشكل من النقد طويلة، تضم عددا كبيرا من أسماء الفلاسفة وعلماء النفس، إضافة إلى الأدباء والنقاد والفنانين، ويمكن اكتشاف هذه العلاقة -تلميحا أو تصريحاً- عند كل من أفلاطون في موقفه من الفن والأدب، وعند أرسطو في نظرية التطهير، وعند كل من سار على خطاهم من أمثال أفلوطين وهوراس وبوالو وهيغل وكانت وشوبنهاور وبرجسون وكروتشه، وصولاً عند علماء النفس مثل سانت بيغ وسيغموند فرويد وشارل بودوان وشارل مورون، وغير هؤلاء كثير يضاف إليهم عدد لا حصر له من الفنانين والنقاد الذين تأثروا بالمنهج النفسي في دراسة الأدب وشخصية الأدباء، غير أن البداية الحقيقية لنضج علم النفس وتطور علاقته بالأدب والنقد، كانت في النصف الأول من القرن العشرين سواء عند الغربيين أو العرب.

فرويد ومدرسة التحليل النفسي: (1939/1856)

يعترف سيغموند فرويد بأن الذين ألهموه نظريته في التحليل النفسي هم الفلاسفة والشعراء، باعتبار أن الإبداع على اختلاف أنواعه وأشكاله، يمثل الرحم التي احتضنت النفس الإنسانية في كل حالاتها ومتناقضاتها، فقد استطاع فرويد بعقريته أن يطور هذه الظاهرة إلى نظرية مستفيدا من تجارب سابقه، فكان بحق زعيم مدرسة التحليل النفسي والرائد في هذا المجال، حيث استطاع أن يرسم للنفس البشرية الباطنية جهازا نفسيا أشبه ما يكون بالخرائط الطبوغرافية فقسمه إلى ثلاثة مستويات، تمثل الثالث الحركي للحياة الباطنية الإنسانية.

#### - المستوى الشعوري:

وهو مجموعة التجارب التي نعيشها ونشعر بها.

#### - ما قبل الشعور:

وهو مجموعة التجارب التي عشناها ويمكن استحضارها إلى عالم الشعور بوسائل عادية (عطور أو أماكن أو أسماء أشخاص وغيرها)، وهذا ما يعرف بالكلمات المفاتيح.

#### - اللاشعور:

وهي مجموعة التجارب التي ترسبت في أعماق النفس في العالم الباطني ولا يمكن استحضارها إلى عالم الشعور إلا بوسائل غير عادية مثل (الاحلام والتداعي الحر أو الكتابة والرسم وغيرها).

هذا المستوى الأخير يمثل الفرضية الأساسية التي تقوم عليها نظرية التحليل النفسي، وينقسم بدوره إلى ثلاث قوى متصارعة، هي:

- **الهو** ويمثله الجانب البيولوجي.

- **الأنا** ويمثله الجاني السيكولوجي أو الشعوري.

- **الأنا الأعلى** ويمثله الجانب الاجتماعي أو الأخلاقي.

ولقد توصل فرويد إلى غريزتين أساسيتين توجهان هذا الجهاز، أو السلوك الإنساني  
عموماً، وهما:

- **غريزة الحب أو الحياة (الإيروس)** وتمثل الحاجات النفسية البيولوجية، التي تتيح للفرد الاستمرار في الحياة والحفاظ على بقاء نوعه.
- **غريزة الموت أو الفناء (التناتوس)** وتمثل مختلف الرغبات التي تدفع الفرد إلى العدوان والتدمير.

توصل فرويد إلى هاتين الفرضيتين بعد أن عدل من نظريته، حيث كان يعتقد أن الغرائز الجنسية (**الليبدو**) هي الطاقة التي توجه سلوك الإنسان، لكنه اكتشف أن الليبدو لا يتجه دوماً نحو الآخرين، بل قد يتردد إلى الذات فيغرق الفرد في حب نفسه، وهذا ما يسمى **بالنرجسية**، أو يوقع الأذى والألم بنفسه للحصول على اللذة، وهذا ما يعرف **بالمازوخية**، وقد يحصل على هذه اللذة بإيذاء الناس وإيلاهم وهذا ما يسمى **بالسادية**.

ومن خلال ما توصل إليه فرويد في نظرية التحليل النفسي، وما يتصل بها من لا شعور وغرائز جنسية واحلام ومكبوتات، دخل فرويد عالم الأدب والأدباء ليقدم لنا أدواته وأليات منهجه النفسي، فكان من الأوائل الذين رسخوا بالنظرية والتطبيق علاقة علم النفس بالأدب والفن والنقد، حيث تناول بالتحليل النفسي شخصيات الفنانين والأدباء وأعمالهم الفنية والأدبية وعملية الخلق الفني والمتلقي.

ولا يتسع المجال لعرض كل آرائه في هذه الورقة، إنما يكفي أن نشير بعضها فالفنان أو الأديب عنده إنسان **عصابي** أقرب إلى الجنون لحظة العملية الإبداعية وبعد الانتهاء منها، فهو إنسان عادي وسوي في كامل وعيه. وهكذا يختلف الأديب عن العصابي الحقيقي (المريض) فهو يستطيع تخطي عتبة اللاشعور والإفلات من رقابة الأنا محققاً رغباته ومكبوتاته بوسائله الفنية الخاصة، وهو بعد ذلك إنسان عادي وسوي، وها ما لا يستطيعه الإنسان العصابي غير

الفنان، غير أن فرويد يرى أن الأحلام وسيلة من وسائل إشباع الرغبات التي لا يستطيع الفرد تحقيقها في الواقع.

وعلى هذا الأساس تناول فرويد بالتحليل شخصية ليوناردو دافينشي من خلال لوحته الموناليزا، وشخصية دويستوفسكي وروايته الإخوة كرامازوف، فبحث في الإبداع الفني عند الأول وحلل حلم النسر في طفولته فسّر فرويد هذا الحلم بالبطء الذي عرف به هذا الرسام في إنجاز لوحاته العظيمة، واكتشف في شخصية الثاني كل المتناقضات، حيث وجد أن شخصيته تحمل في تصوره الفنان المبدع الخلاق الجدير بالخلود، كما تحمل في الوقت نفسه الأخلاقي والعصابي والآثم المجرم.

لم يقف فرويد عند حدود تحليل شخصية الفنان وعمله الإبداعي وبيان الصلة النفسية بينهما فحسب، وإنما اهتم أيضا بتحليل شخصيات وأبطال الأعمال الروائية والمسرحية كشخصية هاملت للمسرحي الكبير ويليام شكسبير، وبطلة القصة غراييفا للألماني ينسن، كما اهتم بعملية الخلق الفني وعملية الإبداع نفسها وهي عنده شبيهة بثلاث نشاطات إنسانية هي اللعب والتخيل والحلم والمبدع عند فرويد كالمراهق أو الطفل كلاهما يلعب ويتخيل ويحلم ليصنع لنفسه عالما خياليا يتمتع به ويصلح فيه من شأن الواقع ويستعويض به عن رغبته الحقيقية.

ولم يغفل فرويد في تحليله النفسي القارئ أو حقيقة المتعة التي يجنيها المتلقي من قراءته للروائع الأدبية ومشاهدته للأعمال الفنية الخالدة، فالمبدع في نظره حين يصنع عالمه الخيالي، ويقدمه في قالب فني، فكأنه يقدم للقارئ إغراقا يزيد تحفيزه للقراءة والاستمرار فيها ولن يحصل المبدع على هذه الضمانة إلا إذا استطاع أن يتجاوز تجربته الذاتية إلى تجربة عامة يشترك فيها جميع الناس ويجد فيها القارئ على الخصوص ما يحقق له متعة دون الشعور بالحياء أو بالذنب، أي أن يجد رغبته وخيالاته مجسدة في تلك التجربة.

**ألفرد أدلر ومركب النقص: (1937/1870)**

خالف التلميذ أدلر أستاذه فرويد وانشق عنه في كون الغريزة الجنسية تمثل السبب الوحيد لظهور الأمراض العصابية، تقوم نظرية أدلر على أن الحياة النفسية للفرد يحكمها **الشعور بالنقص** أو الدونية، بمعنى أنه يجعل الذات تحل محل الدافع الجنسي، ويعده القوة الإيجابية المسيطرة في الحياة، وأنه الدافع الأكثر تعرضا لمعوقات البيئة وحساسية الفرد الخاصة، كما أن خيالات الفرد لا تتكون في أساسها من اشباعات خيالية للشهوة، بل هي وسائل للهروب من الشعور بالنقص.

خلافاً لفرويد فإن أدلر لا يعطي أهمية بالغة للاوعي عند الإنسان، بل غنه لا يفصل بين الوعي واللاوعي، وإن ركز على أهمية مرحلة الطفولة إذ يرى أن الناس لا يغيرون عادة نظرتهم إلى الحياة بعد سن الطفولة بالرغم من أن تعبيرهم عن وجهة نظرهم فيما بعد يصبح مختلفاً تمام الاختلاف. يبدو أن نظرية أدلر أقل تأثيراً في الأدباء والنقاد، وبهذا لم يكن اهتمامه الكبير بالجانب الاجتماعي انلاباً في حركة التحليل النفسي.

### **كارل غوستاف يونغ واللاشعور الجمعي: (1937/1875)**

يرى يونغ أن أستاذه فرويد بالغ كثيراً في إعطاء الأهمية الكبيرة للغرائز الجنسية، كما اكتشف ان هناك فرضية لم يعرها فرويد أهمية كبيرة، غير أنها تشكل جوهر نظرية يونغ في الأدب، حيث لاحظ في مضامين الأحلام حيث يؤكد أن الحلم يفصح عن مضامين لا يمكن أن يكون مصدرها الحياة الناضجة ولا ولا عهد الطفولة الحالم المنسي، ويتعين علينا أن نعد هذه المضامين جزءاً من التراث القديم الذي آل إلى الطفل من خبرة الأسلاف والذي يجلبه إلى العالم قبل أي خبرة معينة. وهذا ما أطلق عليه يونغ باللاشعور الجمعي الذي يعد المنبع الأساسي للأعمال الأدبية والفنية، والبوتقة التي تنصهر فيها النماذج البدائية والرواسب القديمة والتراكمات الموروثة والأفكار الأولى.

ومما لا شك فيه أن مدرسة التحليل النفسي قدمت للفن والأدب والنقد خدمات جليلة، وامتد النقد باليات وميكانيزمات منهجية، ما ساعد على فتح آفاق واسعة، كما زودته بمفاتيح سيكولوجية لتحليل شخصيات الأدباء والفنانين، وبهذا اعتبرت هذه المدرسة بحق ذات فضل كبير لا ينكره أحد في إرساء قواعد وأسس نظرية النقد النفسي.

**أبرز العقد النفسية: تحتاج للمراجعة وإسقاطها شخصيات على قصة أو رواية أو مسرحية**  
(عقدة أوديب، عقدة إكتر، مركب النقص، النرجسية، السادية، المازوشية ...)

### **أهم المصطلحات: تحتاج للمراجعة**

( الشعور، ما قبل الشعور، اللاشعور، الأحلام، الطفولة، الكبت، الذهان، العصاب، التطهير، التسامي، اغتيال النوايا، التداعي الحر، الليبيدو، الكبت ...)

### **أهم المراجع: استعن بها**

- 1- زين الدين مختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي.
- 2- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب.
- 3- أحمد حيدوش الاتجاه النفسي في النقد الأدبي الحديث.
- 4- سيغموند فرويد، التحليل النفسي والفن.

**أتمنى لكم حظا موفقا**

